الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة الشهيد حمه لخضر -الوادي -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات النص الأدبي العربي القديم

سنة أولى ليسانس أدب عربي

إعداد الدكتور: عباس بلحاج

السنة الجامعية :1442هـ-1443هـ /2021م- 2022م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله الكريم.

أضع بين أيدي طلبتي الأعزاء هذا الكتاب .لا أدعي فيه أني أوفيت الموضوعات حقها من البحث والدراسة ،وإنما يبقى هذا البحث جهدا قبل كل شيء وتواصلا لبحوث لاحقة، ولن يتأتى ذلك إلا بجهد موصول من قبل الدارسين والباحثين في مجال الأدب العربي القديم شعره و نثره.

قسمت هذا العمل الى جزأين ،كان الجزء الأول مخصصا لبستان الشعر العربي القديم وقفت فيه على أطلال امرئ القيس وطرفة وتجولت في الحياة الجاهلية البدوية حيث الغزل تربى مع عنترة وعبلة، وتصعلك الشنفرى وعروة. ثم رحلت الى عصر النبوة لأجد البردة مع كعب بن زهير في مدحه لخير الأنام محمد رسول الله– صلّى اللّه عليه و سلّم– وهجرت لكن ليس هجرة النبي من مكة الى المدينة ،هجرت إلى فتن الأحزاب السياسية مع يزيد والحجاج ومعاوية .عشت فيها نقائض جرير والفرزدق ولم أر كلمات مثلها تحرق ،وصلت الى حب عذري مع بثينة وجميل وليلى وقيس ولم أر إلا ألما وحسرة ويأسا .وسافرت إلى الدولة العباسية حيث اللهو والترف والبذخ مع خمرية أبي نواس وزهد أبي العتاهية ،وعشت حضارة الأندلس من حب ابن زيدون لولادة وتشتت الشعر من موشح وزجل ولم يبق فيها شاعر بلا ريادة.

أما الجزء الثاني فقد تمحور حول النثر العربي القديم حيث تناثر النثر في كل اتجاه من خطب وأمثال وحكم وسرد ومقامات ورسالة ووصية ورحلة وتصوف نثري.

الشعر العربي القديم

د. عباس بلحاج

الشعر في العصر الجاهلي

إن العصر الجاهلي يشمل كل ما سبق الإسلام من حقب وأزمنة، فهو يدل على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده، ولكن الباحث في الأدب الجاهلي لا يتسع في الزمن به هذا الاتساع إذ لا يتغلغل به إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية.1 وهذا ما يدل عليه الجاحظ بوضوح إذ قال: "أما الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السن أوّل من نهج سبيله وسهل الطريق إليه أمرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن أبي ربيعة. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام وهي ملاحظة دقيقة لأنّ ما قبل هذا التاريخ في الشعر العربي مجهول."2

فنقف بالعصر الجاهلي عند هذه الفترة المحدودة، أي عند مائة وخمسين عاما قبل الإسلام. وما وراء ذلك يمكن تسميته بالجاهلية الأولى وقد وردت في الذكر الحكيم مصداقًا لقوله تعالى: "ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى"3، وهو يخرج عن هذا العصر الذي ورثنا عنه الشعر الجاهلي واللغة العربية والذي تكامل فيه نشوء الخط العربي.

وينبغي أن يعرف أن كلمة الجاهلية" التي أطلقت على هذا العصر ليس مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه، وإنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق، فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله عزّ وجلّ وما ينطوي فيها من سلوك خلقي كريم.4

ودارت الكلمة (الجاهلية) في الذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف والشعر الجاهلي بهذا المعنى من الحمية والطيش والغضب والعصبية.

---

[1] – شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 33، 1960، ص 380.

[2] – الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق كمال عبد السلام محمد هارون، مطبعة الحلبي، الجزء الأوّل، ط 2، 1384 هـ-1965م، ص 74.

[3] – سورة الأحزاب، الآية 33.

[4] – شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص 39.

ففي سورة البقرة "قالوا أتتخذنا هزؤًا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين"[1] وفي سورة الأعراف "خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين." [2] وفي سورة الفرقان: "عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلين قالوا سلاما"[3]

وفي الحديث الشريف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر وقد عير رجلا بأمه "إنك أمرؤ فيك جاهلية"

وفي معلقة عمرو بن كلثوم الثغلبي يقول :

ألا لا يجهلن أحد علينا ***فنجهل فوق جهل لجاهلينا[4]

وأوضح أن هذه النصوص جميعًا أن الكلمة (الجاهلية) استخدمت من قديم للدلالة على السفه والطيش والحمق. وقد أخذت تطلق على العصر القريب من الإسلام.

كانت القبيلة في العصر الجاهلي تتألف من طبقات ثلاث أبناؤها وهو الذي يربط بينهم الدم والنسب وهم عمادها وقوامها والعبيد وهم رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة والموالي وهم عتقاؤها والخلعاء التي خلعتهم قبيلتهم وهم طائفة من الصعاليك المشهورة فيتخذون النهب والسلك وقطع الطريق.[5] منهم تأبط شرا ،السليك بن سلكة ،والشنفرى وعروة بن الورد.

مصادر الشعر الجاهلي:

أ– المعلّقات: وهي مشتقة من كلمة "العلق" بمعنى النفيس، ويقال أوّل من رواها مجموعة في ديوان خاص بها "حماد الرواية" وهي عنده سبع "أمرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى وطرفة بن العبد ولبيد بن يعمر وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلِّزة وعنترة بن شداد ونراها عند صاحب الجمهرة (القرشي) سبعًا غير أنه أسقط اثنين من رواية حماد الرواية هما الحارث بن حلّزة وعنترة وأثبت مكانها الأعشى والنابغة الذبياني.

أما التبريزي نجده يجعلها في شرحه عشرًا جامعًا بين الروايتين ومضيفا قصيدة عبيد بن الأبرص. وقيل سميت "بالمعلقات" ،لأن الناس علّقوها في أذهانهم أي حفظوها. ويقال أنها كتبت بماء الذهب وسميت "بالمذهبات" ،ويقال أيضا سميت بالمعلقات لأنها علقت على جدار الكعبة.

---

[1] – السورة البقرة، الآية 67.

[2] – سورة الأعراف، الآية 199.

[3] – سورة الفرقان الآية 65.

[4] – أبي عبد الله حسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، اعتنى به وعلق عليه علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ- 2003م، ص 171.

[5] – شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص 67.

وللمعلقات قيمة أدبية لأنها تصور البيئة والحياة الجاهلية أوضح تصوير وأشمله ثم أنها تتميز بموضوعاتها المتنوعة وأسلوبها القوي، إضافة إلى أن أصحابها كانوا أهم شعراء الجاهلية.[1]

ب- المفَضَلِيَّات: نسبة إلى المفضّل الضَبِي راوي الكوفة الثقة ونشرها في مائة وستة وعشرون قصيدة أضيف إليها أربع قصائد وجدت في بعض النسخ ،حيث يقول ابن النديم: "هي مائة وثمانية وعشرون قصيدة وقد تزيد وتنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عن المفضل والصحيحة التي رواها عند ابن الأعرابي.

ويزعم الأخفش أنها كانت ثمانين ألقاها المفضل على المهدي وزاد الأصمعي أربعين، ثم زاد البقية بعض تلامذته. وهي موزعة على سبعة وستون شاعرًا ،منهم سبعة وأربعون جاهليا وعلى رأسهم المرقشان الأكبر والأصغر والحارث بن حلِّزة وعلقمة بن عبدة والشنفرى وبشر بن أبي حازم وتأبط شرا وعوف بن عطية وأبو قيس بن الأسلت الأنصاري وبينهم امرأة من بني حنيفة ومجهول من اليهود ومسيحيات.[2]

ج- الأصمعيات: نسبة إلى الأصمعي راويها وقد بلغ عدد قصائدها اثنتين وتسعون وهي موزعة على واحد وسبعون شاعرًا،منهم نحو أربعون جاهليًا على رأسهم أمرؤ القيس والحارث بن عباد ودريد بن الصِّمة والأصبع العدواني وطرفة بن العبد وعروة بن الورد وقيس بن الخطيم ،وبينهم يهوديان من الشيعة بن الغريض والسموال.

- جمهرة أشعار العرب لأبي محمد بن أحمد بن أبي الخطاب القرشي: وهي تظم تسعًا وأربعون قصيدة طويلة موزعة على سبعة أقسام من كل قسم سبع قصائد.[3]

- القسم الأوّل خاص بالمعلقات: فقد أخذ فيها الرواية أنها سبع وأسقط منها معلقتي الحارث بن حلِّزة وعنترة بن شداد ووضع مكانهما الأعشى والنابغة.

- القسم الثاني المجمهرات: وهي لعبيد بن الأبرص وعدي بن زيد وبشر بن أبي حازم وأمية بن أبي الصلب وخداش ابن زهير والنمر بن تولب وعنترة.

- قسم المختارات والمنتقيات: وهي مختارات من الشعر الجاهلي والإسلامي موزعة على ثلاث أقسام أهم في القسم الأوّل الشنفرى، طرفة بن العبد ولقيط الأيادي والمتلمس.

أما القسم الثاني من دواوين زهير وبشر بن أبي خازم وعبيد الأبرص.

وأما القسم الثالث فمختارات الخطيئة في ديوانه.

---

[1] -نور الدين مهري، النص الأدبي القديم، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ج1، ط1، 2015، ص 20-21.

[2] - شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص 176-177.

[3] - نفس المرجع السابق، ص 177.

وتدخل في هاته المختارات دواوين الحماسة لأبي تمام موزعة على عشرة أبواب وهي مقطوعات لجاهليين وإسلاميين وعباسيين.

وهناك حماسة البحتري:وهي مقطوعات موزعة على مائة وسبعون بابًا أغلبها من الشعر الجاهلي.[1]

أغراض و موضوعات الشعر الجاهلي:

أ- الغزل: هو التغني بالجمال وإظهار الشوق إليه والشكوى من فراقه، وهو التشبيب بالحبيبة ووصفها عبر محاسنها ومفاتنها وهو نوعان: غزل عفيف (عذري) وغزل صريح (ماجن) .من مواضيعه الوصف والتشبيه والمدح والفخر حيث يقول كعب بن زهير:

بَانَتْ سُعادُ فَقَلبِي الْيَوْمَ مَتْبُولٌ *** مُتَيَّمُ إثْرِهَا لَمْ يُفِدْ مكبول

وَمَا سُعادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا *** إلّا أُغَنَّ غَضِيضَ الطَّرَفِ مَكْحُولُ

هيفاءُ مُقْبِلَةٌ عجزاء مُدَبَّرَةً *** لَمْ يَشْتَكِيَ مِنْهَا قَصْرً وَلَا طُولَ [2]

ب- الهجاء: وهو نقيض المدح يعبر عن سخط واشمئزاز شخصية ما أو قبيلة،فيذكر صفاتها الذميمة وخلقها وخِلقها ومن موضوعاته :الكره والحقد والتذمر والنقد....

يقول الحطيئة مهاجيًا نفسه:

أَبَتْ شِفْتَاي الْيَوْمِ إلاّ تكلمًا *** بُشَرٍ فَمَا أُدْرَى لَمِنْ أَنَا قَائِلُهُ

أَرَى لِي وَجْهًا سُودُ اللهِ خَلْقِهِ *** وَقُبْحٌ مِنْ وَجْهِ قُبْحِ حامِلِهِ [3]

ج- الفخر: هو الاعتزاز بالفضائل التي يتحلى بها الشاعر أو القبيلة ،وبتعداد الصفات الكريمة لمن يفتخر به وتحسين السيئات منها وموضوعاته الشجاعة والكرم والمروءة والوفاء والحلم وعراقة الأصل وحماية الجار والنزيل...

وهو فخر ذاتي : أي يفتخر الشاعر بنفسه حاصرًا نفسه منه قول الشاعر عنترة ابن شداد:

يخبرك من شهد الوقيعة أنني *** أغشى الوغى وأعف عند المغنم[4]

---

[1] - نفس المرجع السابق، ص 178-179

[2] -كعب بن زهير بن أبي سلمى – أبو المضرب – "الديوان" صنعه أبو سعيد السكري، شرحه مفيد قميحة ،دار الشواف للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1410 هـ- 1989م، ص 109.

[3] - الحطيئة ، الديوان ،الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط 2، 1414 هـ-1994م، ص184

[4] - الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص 197.

وفخر جماعي: وهو يفتخر بالقبيلة والاعتزاز بها وذكر نسبها ومحاسنها وقوتها وجبروتها منها قول عمرو بن كلثوم لما قتل عمرو بن هند في معلقته:

إذا بلغ الفطام لنا صبى *** تخرُّ له الجبابرة ساجدينا [1]

ك– المدح: وهو ذكر المحاسن ،وهو الثناء بذكر الجميل وإحسان الثناء على المرء بما له من صفات حسنة، وهذا قول النابغة الذبياني في مدح الملك النعمان بن المنذر:

وإنك شمس والملوك كواكب *** إذا طلعت لم يَبْدِ منهن كوكب

هـ– الرثاء: هو تعداد خصال الميت بما كان يتصف به من صفات كالكرم والشجاعة والعفة والعدل والعقل، وهو التفجع على الميت والتأسي والتعزي عليه، وهو ثلاث أقسام العزاء، والتأبين والندب. وهذا ما نجده في مرثية الخنساء لأخيها صخر:

أعيني جودا ولا تجمدا *** ألا تبكيان لصخر الندى؟

ألا تبكيان الجواد الجميل؟ *** ألا تبكيان الفتى السيدا؟

و– الحماسة: هي الافتخار بخوض المعارك والانتصارات في الحرب. فالحماسة تدخل في باب الفخر منها قول الشاعر عنترة بن شداد:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل *** مني وبيض الهند تقطر من دمي [2]

فوددت تقبيل السيوف لأنها *** لمعت كبارق ثغرك المتبسم

خصائص ومميزات الشعر الجاهلي:

– أغلبية القصائد القديمة تقف على الأطلال والبكاء عليها لطبيعة حياتهم القائمة على الترحال والانتقال من مكان إلى آخر وطبيعة العربي يحن إلى ماضيه. حيث أوّل من وقف على الأطلال ابن خدام على قول الشاعر أمرؤ القيس:

عوجًا على الطلل المحيلي لعلنا ***نبكي الديار كما بكى ابن خدام

– الاعتماد على الوصف وكثرة التشبيهات.

– الدقة والمتانة في الأسلوب.

– تصوير الشاعر حياته وأمانيه ومطامحه ولذاته ولهوه.

[1] – نفسه، ص 180.

[2] – الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص 197.

- الصدق في التعبير بالرغم من أنه كان فيه مبالغة أحيانًا.
- تصوير الحياة البدوية الصحراوية والحياة الجاهلية ووصفها.
- تكرار الصور والمعاني.
- كثرة الألفاظ الغريبة والوحشية المستمدة من البيئة البدوية الجافة ووحدة البيت وقوة اللفظ.
- البساطة في التعبير.
-الإطالة، كان يعمد الشاعر أن يكون طويل النفس.
- قلة المحسنات وألوان التزيين والزخرف البديعي.
- جزالة الأسلوب والجمال والصدق والتنقل في الخيال.
- وحدة البحر والقافية وحرف الروي للقصيدة الواحدة.

د. عباس بلحاج

شعر الصعاليك في العصر الجاهلي

تمهيد

إن الصعلوك في اللغة هو الذي لا يملك من المال ما يعينه على أعباء الحياة[1]. أما في الجاهلية أخذت الصعلكة دلالة أخرى. فقد أخذت تدل على من يتجردون للغارات وقطع الطرق. [2]

والصعاليك: هم جماعة من الفقراء اللصوص خرجوا عن طاعة رؤساء قبائلهم ولم يخضعوا للأعراف التي في القبيلة، بل تمردوا عليها ولم يتقيدوا بالتزام القبيلة أو مخالفة قبائل أخرى ويُغيرونَ على البدو والحضّر. ويقطعون الطريق ويسلبون. وكانوا يقولون الشعر الذي يصور أحوالهم، وقد يجتمعون معًا في بعض الأحيان في غزو بعض القبائل.

ولهم عدّة أسماء منها : اللصوص، فُتاك، شياطين، شطار، ذؤبان (ذئاب) [3]

أنواع الصعاليك:

أ- أغربة العرب: وهم أبناء الحبشيات السود من الإماء .كان البعض من العرب ينفون من إلحاقهم بنسبهم وينبذونهم فكانوا يتمردون على ذويهم ويخرجون إلى الصحراء، كما فعل السليك بن السلكة والشنفرى وتأبط شرا.

ب- الخلعاء: هم جماعة خرجوا على عادات وتقاليد القبيلة وتمردوا على أعرافها وقد تخلت عنهم قبائلهم لما ارتكبوه من جرائم وحماقات،وهؤلاء كانت تخلعهم قبائلهم مثل حاجز الأزدي وقيس بن الحدادية الجزاعي.

ج- المحترفون: هم فئة احترفت الصعلكة احترافًا وهذه الطائفة كانت تظم أجزاءًا وقبائل مثل عروة بن الورد العبسي وقبيلتي فهم وهذيل التي كانتا تنزلان بالقرب من الطائف ومكة.[4]

أسبابها:

أ- عدم وجود دولة جامعة: أي غير مسيطرة للقانون، وضعف سلطتها ،أي لم يكن لديهم أعراف بسبب ضعف الدولة وسلطانها.

---

[1] - محمد بن يعقوب الفيروز أبادي مجد الدين ،"القاموس المحيط"، تحقق محمد نعيم العرسوقي ،مؤسسة الرسالة ، ط8، 1426 هـ-2005م، ص 312.

[2] - عبد الحكيم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط ، 1987، ص 17.

[3] - نفسه، ص 20.

[4] - شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 33، 2013، ص 375.

وعدم وجود قوة حيوية متحركة تسيطر على الأمة،بأنهم مرتبطون بهذه القوة وخاضعون لها خضوعًا يؤخذ في سلوكاتهم.

ب– زعامات غير متزنة: إن عدم وجود هذه السلطة ترتب عليه أمورا أخرى ساهمت في الصعلكة وفي المجتمع الجاهلي. وكانت هذه الزعامات تتمثل في رؤساء القبائل والعشائر،وتتمثل في قوّة الشخصية للزعيم في قبيلة وضعفها لدى قبيلة أخرى.[1] لذلك نجد هناك حرية في غياب القانون الذي يفرضه على المجتمع مما يؤدي إلى خروج الصعاليك من هاته القبلية بسبب جباروت زعيمها.

ج– عدم التوازن بين الفقير والغني: أدى هذا إلى ظهور صعلكة الشعراء وهناك تظهر شخصية عروة بن الورد وأبا الصعاليك"، و"عروة الصعاليك" احترف الصعلكة لينصر الضعفاء المقهورين من الأقوياء المستغلبين،ويحسن للفقراء من كرمه ونهبه للتجار وأصحاب المال. فيقول مخاطبا إمرأته على الغني والفقير:

ذِعّيني للغنى أسعى فإني *** رأيت الناس شرهم الفقير

وأبعدهم وأهونهم عليهم *** وإن أمسي له كرم وخير

يساعده القريب وتزدريه ***حليلته وينهره الصغير

ويَلقى ذو الغنى وله جلال ***يكاد فؤاده وصاحبه يطير[2]

ويقول الصعلوك السليك بن سلكة لما يأخذه الجوع والفقر في فصل الصيف ويأخذه الدوران الذي تكثر فيه ألبان الناقة.

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضربني ***إذا قمت تغشاني ظلال فأسدف

د–طبيعة الأرض والحياة: إن نواحي البيئة نفسها غير متفقة في خصبها ووجودها بالخيرات. فشمال الجزيرة العربية ليس كجنوبها،فشمالها مزدهرة مثل سبأ. والطائف التي أتى لها رسول صلى اله عليه وسلم إثر أزمة لجأ إلى ثقيف وتم إيذائه إياه،وكذلك نجد يثرب (المدينة) منها نجد اليمامة فكلها كانت مناطق خصبة عكس جنوبها التي تمتاز بالقحط والقسوة عن طبيعتها،وهي تساعد على الاختفاء حينما يطلبون الخفية لطابعها الجبلي الصحراوي،ويرى ابن خلدون

[1] – عبد الحليم حنفي ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ص 53.

[2] – عروة بن الورد. ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، د ط 1998، ص 79.

في قوله: "وذلك أن بطبيعة التوحش الذي فيهم، أهل بيئة قاسية عنيفة يسودها الشدة وانتهاب وعبث و ينتهون ما قدرو عليه من غير مغالبه و لا ركوب خطر ويفرون إلى منتجعهم بالفقر"[1]

ويصف لنا الشنفرى ليلة اشتداد البرد حتى أن صاحب القوس ليضطر إلى تحطيم قوسه التي تقوم عليها حياته ليستدفئ بها وبأدواتها فيقول:

وليلة نحسٍ يَصْطَلي القوس رَبَهَا *** وأقطعه اللائي بها يتنبل[2]

ويصف لنا مرة أخرى الشنفرى الحر الشديد حتى الأفاعي لم تحتمل العيش في الصحراء بإعتبارها موطنها فيقول:

ويوم من الشِعري يَذُوبُ لَوابه ***أفاعيه في رمضائه تَتَململ[3]

هـ- الحروب والثورات: ما يعرض في حياة الجماعات والأمم تتميز بأنها محدودة يؤدي إلى انتشار الأخذ بالثأر مثل ما حصل في حرب الباسوس بين قبيلة بكر وتغلب.

وهذا ما وقع مع الشنفرى الذي أقسم أن يقتل مائة من العدو،ومن قبيلة بني سلامان من قبيلة أزد الأردنية وهذا انتقاما لمقتل أبيه من طرف هذه القبيلة. لكنه توفي في الضحية التاسع والتسعون ويقال بأن المائة أنه راعي كان يرعى وسقط على جمجمة الشنفرى فأردته قتيلاً، لأن لما ألقي القبض عليه قتل وترك في الصحراء للضباع والسباع.

و- التجارة: فكانت هناك الأسواق التجارية حوالي 13 سوقًا فهناك انتشرت الصعلكة،فكان من أصحاب المال يجيزون الصعاليك في رحلتهم حتى لا يتعرض لهم أدى ويذهبون معهم لتوفير الحماية لهم من أعداء.وهاهو السليك بن سلكة الذي أعطى له الملك بن المولیك الخشعمي بعض من غنائمه على أن يجيزه فيتجاوز (خشعهم) إلى ما وراء من أهل اليمن. كذلك كانت هناك رحلتان لقريش رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام، حيث كانت تتعرض هاتين الرحلتين لقطاع من الصعاليك وهنا يقول الأحيمر السعدي أحد الصعاليك يجعل سيفه قاهرًا على أموال التجار فيقول:

تَعِيرُني الأقدام والبدر معرض ***وسيفي بأموال التجار زعيم[4]

---

[1] – عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، المكتبة المصرية، القاهرة، دط-د ت، ص 141.

[2] – عمرو بن مالك، ديوان الشنفرى، تحقيق وجمع وشرح الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب للحربي، بيروت، ط2،دت- ص 69.

[3] – نفسه ص 71.

[4] – عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ص 67.

ونجد أيضا الرحلة نحو الحج إلى الكعبة لعبادة الأصنام، حيث كانوا هنا ينهب الصعاليك كل أمتعتهم ويسرقون أموالهم...

الخصائص الفنية لشعراء الصعاليك:

- التخلي عن المقدمة الطللية مثل لامية الشنفرى.
- تميز شعرهم بالوحدة الموضوعية.
- خلو قصائدهم من الغزل الذي عُهد في الشعر الجاهلي، حيث كان الإكثار من توجيه الخطاب في شعرهم لزوجاتهم لا التغزل بهم.
- أغلب شعرهم مقطوعات لا قصائد مطولة.
- الصدق في التعبير والاعتماد على الواقعية.
- عدم الاهتمام بالصنعة اللفظية والتنميق.
- النزوع إلى أسلوب القصة غالبا.
- صيحات الفقر والجوع والحرمان في شعرهم.
- امتازت قصائدهم بالشجاعة والصبر والثورة على الأغنياء والأشحاء والبأس.
- شيوع الألفاظ العربية وأشعارهم التي تولد على طبيعة الحياة القاسية (أسي.باسي....)
- اتسمت لغتهم الشعرية بالترفع والسمو والشعور بالكرامة في الحياة وهذا خداش الهزلي يقول:

وإني لأثوى الجوع حتى يَمِلني ***فيذهب لِمَ يدنس ثيابي ولا جرمي

إن شعر الصعاليك أشبه ما يكون بالمذكرات الشخصية التي يدون الشخص فيها أفكاره ومشاعره وما يحسه حوله في موقف من المواقف، وموقف الصعاليك هو الصعلكة بما يلابسها من أسباب تدفع إليها كالفقر والحاجة ومخاطر يتعرضون لها في مزاولة الصعلكة من أعداء ووحوش ومتاعب.

د. عباس بلحاج

الشعر في صدر الإسلام

تمهيد

ينتهي العصر الجاهلي بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة سنة 622م لتكون هاته السنة بداية العصر الإسلامي، وينتهي بمقتل الإمام علي بن أبي طالب سنة 40هـ/661م بعد أن طعنه عبد الرحمن بن ملجم.

أتى الإسلام وحرر العرب من العصبية القبلية ودعا إلى مكارم الأخلاق والعبادات من زكاة وصلاة وصوم... وأحسن لهم حسن معاملاتهم فحدد الحقوق والواجبات حيث أعطى للمرأة حقوقها وذكرها بواجباتها وثمن دورها في المجتمع بعد ما كانت في الجاهلية لا تتمتع به، فأصبح لها حرية ويحقق لها اختيار الزوج ومشاركة الزوج على أعباء الحياة ووضع لها الميراث.[1] وفكّها من العبودية.

وحرم الخمرة التي كانت في العصر الجاهلية لها قيمة والافتخار باحتسائها وتقديمها للضيوف، حيث مر تحريمها على ثلاث مراحل وطبقات من القرآن الكريم. وكذلك القمّار كان له نفس الخمرة في تحريمه كما حرم الأخذ بالثأر ووضع له قصاصًا .

وبذلك يكون الإسلام قد أحدث انقلابا شاملاً على المجتمع الجاهلي وأسس مجتمع جديد يختلف جذريًا في عقائده وقيمه وأعرافه ومواصفاته وممارساته من المجتمع السابق[2]

موقف الإسلام من الشعر:

لقد صنف القرآن الحكيم شعر الشعراء إلى شعراء مؤمنون لم يخرجوا عن حدود التعاليم الإسلامية. وشعراء ضالون بما قالوا من شعر هجين غير أنه وبالرغم من نبذ الإسلام لشعر هؤلاء فإنه بقى متسامحًا معهم لأنهم يقولون ما لا يفعلون وثمة فرق بين القول والفعل.

وكل هذا تدلها الآية الكريمة من سورة الشعراء "والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم ترى أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ،إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا بعدما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"[3].

---

[1] – نور الدين مهري، النص الأدبي القديم، ص 44.

[2] – نفسه الصفحة نفسها.

[3] – السورة الشعراء، ص 227.

أما موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر والشعراء كان له موقفان حيث اعتبر الشعراء أداة هجينة كشرب الخمريات والغزل الفاحش والهجاء المقذع الذي يمس كرامة الغير،وخاصة ذلك الهجاء الصادر عن المشركين ضد المسلمين والنبي صلى الله عليه وسلم الذي يمس أعراضهم وعقيدتهم قال: "لإن يمتلأ جوف أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلأ شعرًا"[1] وأيضا قوله: "من قال في الإسلام شعرا مقذعًا فلسانه هدر"

أما الموقف الذي يحمل القيم والأخلاق الحسنة التي يتعارض مع التعاليم والمبادئ الإسلامية. وخاصة ذلك الذي يدافع عن الإسلام والمسلمين فكان الرسول (ص) يستمع كثيرا لشعر حسان بن ثابت ويحثه عن هجاء المشركين لهجائهم للعقيدة الإسلامية. حيث قال: "هاجوهم وجبريل معك " وأنه كذلك سمع لكعب بن زهير لما قام بمدحه في قصيدة "البردة" ،وأعجب بشعر لبيد بن ربيعة وأحب شعر عنترة بن شداد فقال فيه :"ما وصف لي إعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة"

والخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أحب شعر زهير بن أبي سلمى فقال فيه:" لأنه كان لا يعاضل في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر ولم يمدح أحدًا إلا بما فيه"[2] .فهو سهل العبارة لا تعقيد في تراكيبه ولا وحشي في ألفاضه ومعانيه، بعيدة الغلو والإفراط في الثناء الكاذب فهو لا يمدح الرجل إلا بما فيه من فضائل .وشعر زهير يكمن في أنه حسن العبارة والمعاني وجميل الصياغة.

وكذلك لعمر موقف آخر في الشعر الذي فيه هجاء ومعاقبة أصحابه عليه فلأن هذا اللون ينال من أخلاق المهجو ويشوه صورته ويحط من مروءته وعرضه،فهو نوع من القذف يرفضه الإسلام ويعاقب عليه.

الأغراض الشعرية في صدر الإسلام:

1- الغزل: إن مجيئ الإسلام دعى إلى نبذ الغزل الماجن وأبقى عن الغزل الطاهر العفيف عكس ما كان في الجاهلية الذي كان منتشرًا فيه الماجن (الصريح) ،حيث نهى النبي (ص) التشبب بالنساء والتجريح في جسدها وذكر مفاتنها وعوراتها ووصف أطرافها بوصف يخدش الحياء.

لكن لم يأخذ الغزل نصيبًا وافرًا إلا ما نذر،وما ذكر في مطالع قصائد الشهداء المسلمين مثل ما قاله الشاعر كعب بن زهير في قصيدته "البردة"مادحا الرسول (ص) بعدما وقف على الأطلال وبكى واستبكى عن فراق محبوبته:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول *** متيم إثرها لم يفد مكبول

[1] – صحيح البخاري فتح الباري، دار الريان للتراث د.ب، د. ط، 1407هـ/ 1586م، ص 564.

[2] – شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 6، 1963، ص 96.

2- الهجاء: كان الهجاء في هذا العصر يتميز بذم المشركين والسخرية منهم بعدم إيمانهم بالإسلام واتباعهم سنة الرسول الكريم –ص- واتباعهم عبادة الأوثان والأصنام. إلا أنه بالمقابل هناك شعراء نالوا من المسلمين أعابوا عليهم ترك ما عبد أباؤهم وكذلك من تجرأ وهجا النبي (ص) ونبذ الإسلام الهجاء؛هجاء الأشخاص من هجاء مقذع وهذا ما حدث مع الحطيئة الذي هجا الزبرقان بن بدر ويقول:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ***وأقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[1]

فشكى الزبرقان الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه ، فقام بسجنه واستعطفه الحطيئة في أبيات كان مطلعها:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ *** زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ *** فاغفر عليك سلام الله يا عمر [2]

ففك أسره الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- وتوعده ألا يعود لمثل هذا الهجاء المقذع الذي يمس كرامة الإنسان.

وكذلك كان هناك هجاء المسلمين للمشركين ردًا عليهم لما هجوا النبي (ص) وها هو حسان بن ثابت يهجوا ردًا على أبي سفيان بن الحارث فيقول:

هجوت محمدا فأجبت عنه *** وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء *** فشركما لخير كما الفداء[3]

3- الرثاء: لقد كثرت الحروب والغزوات بين الكفار والمسلمين فكثر القتل والموت من كلا الطرفين واقتصر الرثاء في هذا العصر على رثاء المسلمين وشهدائهم في سبيل الله والدعاء لهم بأن مثواهم الجنة، كما امتازت عاطفة الشاعرة اتجاه المرثي بحرارة على فراق الحياة، وكثرت قصائد المراثي النبوية بعد موت النبي (ص) وهذا ما ذكره حسان بن ثابت:

فبوركت يا قبر الرسول بوركت *** بلاد ثوى فيها الرشيد المسددُ. [4]

وما فقد الماضون مثل محمد *** ولا مثله حتى القيامة يفقدُ

وكذلك نجد أبي سفيان بن الحارث في رثائه للنبي (ص) بعد دخوله الإسلام:

---

[1] – الحطيئة، الديوان ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1426 هـ-2005م، ص 183.

[2] – نفسه، ص 89

[3] – حسان بن ثابت، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414 هـ- 1994م، ص 195.

[4] – نفسه ، ص 60.

لقد عظمت مصيبتنا وجلت *** عشية قيل: قُبض الرسول

نبيّ كان يجلو الشك عنّا *** لما يوحي إليه وما يقول[1]

4- الفخر: إن المعارك التي قامت بين الكفار والمسلمين والغزوات الكثيرة أظهروا فيها المسلمون بطولات وشجاعة،وحث القرآن الكريم المسلمين على المشاركة في الحروب. وكان الافتخار بالانتصارات وكذلك الفتوحات التي كانوا يقومون بها فيقول كعب بن زهير في فخره بانتصار المؤمنين في غزوة بدر على الكفار:

ويوم بدركم لنا مدد *** فيه مع النصر مكيال وجبريل. [2]

5- المدح: بعد أن كان المدح في العصر الجاهلي يتناول أشخاصًا كثيرين والأسباب عديدة و مختلفة منها المدح ألتكسبي الذي كان مدحًا للملوك وأصبح في العصر الإسلامي المدح مقتصرًا عن مدح النبي "ص" على الأكثر منها مدح كعب بن زهير للنبي (ص) في قصيدة البردة يقول:

إن الرسول لنور يستضاء به *** مهند من سيوف الله مسلول[3]

ومدح كذلك حسان بن ثابت النبي (ص) :

نبي أتانا بعد يأس وفترة *** من الرسل والأوثان في الأرض تعبد

فأمسى سراجً ا مستنيرًا وهاديًا *** يلوح كما لاح الصقيل المهند[4]

خصائص الشعر في صدر الإسلام:

- شعر لغته من لغة القرآن.
- اختصت معاني الشعر بالمديح بفضائل النفس الإنسانية والعدل والشجاعة والرفعة ونصرة الإسلام دين الحق.
- اعتدال طول القصيدة وارتباطها بالتجربة الشعورية.
- أسلوب خالي من التكلف بعيدا عن الصنعة يقوم على التشخيص والتشبيه والاستعارة والكناية والمقابلة.
- أوشكت الوحدة الموضوعية أن تسود الشعر الإسلامي كله.
- أبرز مطالع قصائدهم رموزا للحياة الدنيا والنصر وصلة الرحم والجهاد والكرم ووصف الرحلة والضغائن وجمع القبيلة والوحدة والتوحد.

[1] -أبو سفيان بن الحارث، الديوان، تحقيق فاروق أسليم بن أحمد، دار صادر، بيروت، ط1، 1996، ص 47.

[2] - ديوان كعب بن زهير، 113.

[3] - ديوان كعب بن زهير، ص 115.

[4] - ديوان حسان بن ثابت، ص 196.

- تصوير الحياة والإنسان والطبيعة.

- عمق إحساس شعرائه واستقلاليتهم في التعبير.

- هيكل القصيدة ووحدتها كانت فواتح إسلامية للقصائد فشملت في تسبيح الله والدعاء والمناجاة والترحم في الشهداء والحِكم الإسلامية الخالصة والتوبة وحمد الله وشكره.

- ختم قصائدهم بأبيات على صيغة المثل في سهولة إيقاعه أو بجواب على السؤال كان للشاعر.

- إبراز العاطفة التي تضمنتها تجربة للشاعر.

نخلص في الأخير إلى مدى قوة وضعف الشعر في عصر صدر الإسلام لنقف على رأيين: فالرأي الأول الذي نادى بضعف وقلة الشعر في هذا العصر بسبب تشاغل العرب بالقرآن الكريم وتفسيره وكذلك بتدوين الأحاديث النبوية الشريفة وتشاغلوا أيضا بالجهاد وغزو بلاد فارس والروم، وجاءت الفتوحات وأدت إلى هلاك العديد من الشعراء والمدونين للشعر والرواة له. وأيضا قلة الأغراض الشعرية التي نهي عنها النبي (ص) منها :الغزل الماجن والهجاء والخمرة ، أما الرأي الثاني يرى بأن الشعر في هذا العصر تطور وازدهر بتطور الأغراض الشعرية فظهر المديح النبوي والمراثي النبوية وشعر الفتوحات وشعر التهاجي بين المسلمين والمشركين وشعر الدفاع عن الرسول (ص) ونصرة دين الحق وشعر الزهد والتصوف والورع.

د. عباس بلحاج

شعر الفتوحات

مفهوم شعر الفتوحات

كما يسمى شعر الجهاد وهو الشعر الذي يهدف الى الإشادة بإقدام وشجاعة الجند أمام قسوة المعارك وضراوة القتال [1] ،وقد ارتبط ارتباطا وثيقا بالمعارك و المغازي ووصف الحياة الجديدة التي الات اليها شبه الجزيرة العربية بعد مجيء محمد (ص) مبشرا ومنذرا، ويتميز بصدوره عن مشاعر صادقة مرتبطة بلحظات و مناسبات تاريخية مميزة، كالانتصار في غزوة ما، أو تحفيز الجيش عن القتال ، او الحنين للاهل و الأبناء ، أو رثاء قتلى المسلمين وغيرها لذلك يعد سجلا تاريخيا مهما.

و لأنه قريب العهد من العصر الجاهلي فقد تضمن أغراض الشعر الجاهلي من فخر وهجاء ورثاء ، ولكنه حاورها بما يتماشى و العقيدة الجديدة التي قننت حياة الفرد ووجهت سلوكه وتفكيره

ونظرا لطبيعة المناسبات التي غالبا ما تلازم القصيدة في ذاك العهد ،تخلى شعراء هذه الفترة عن عادة المقدمات الطللية وعن التغني بالذات تقليدا لأسلافهم الجاهليين ، لذلك جاءت قصائدهم في شكل مقطعات على ألسنة شعراء غير معروفين أخرجت الأحداث مواهبهم و أنطقت ألسنتهم .

أغراضه

1ـ الفخر والحماسة:

الفخر هو التمدح بالخصال ، وأما الحماسة فهي الشجاعة و الاقدام ،جاء في العمدة:"الافتخار هو المدح نفسه، إلا ان الشاعر يخص به نفسه و قومه، و كل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، و كل ما قبح في المدح قبح في الافتخار"[2]

وقد تميز على غرار الشعر في صدر الإسلام بعدد من المميزات الجوهرية أبرزها: صدوره عن ذات مدركة لدورها في كنف الجماعة بعد أن صار للفرد المسلم دور أكبر من الدور الذي كان موكلا اليه في القبيلة أيام الجاهلية ، و قد عبر الشعراء عن ذلك من خلال وصف بلائهم في المعارك و بلاء قادتهم و انتصار الجماعة التي ينتمون اليها افتخارا

1ـ ينظر النعمان عبد المتعالي القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، الدار القومية للطباعة والنشر ،1965، ص 241.

2ـ ابن رشيق: العمدة، ج2،ص162

بالذات و بها ، فالفخر في الإسلام اتجه اتجاها متشبعا بروحه ، فتغنى بانتصار الايمان على الكفر و النور على الجهل ، وتخلص من نظرة العصبيات الضيقة ، وعرف مواضيع جديدة كالفخر بالإسلام و المسلمين والانتصار ،و هزيمة الكفر و الإشادة بخصال المسلم،

كقول خالد ابن الوليد لما كلف بشن غارة على بلدة العواصم بالقرب من حمص وبها الروم آنذاك:[1]

أخذتها و الملك العظيم وغنني بحملها زعيم

لأنني كبش بني مخزوم وصاحب لأحمد الكريم

أسير مثل الأسد الغشوم يارب فارزقني قتال الروم

وقوله مفتخرا بقوته وبما فعله بالروم:[2]

ويل لجمع الروم من يوم شغب إني رأيت الحرب فيه تلتهب

وكم لقوا منا مواقع النصيب وكم تركت الروم في حال العطب

و قول مالك بن عوف في مدح النبي صل الله عليه وسلم[3]:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم كمثل محمد

أوفى وأعطى للجزيل اذا أجتدي و متى تشأ يخبرك عما في الغد

2ـ الرثاء

وهو من أكثر الأغراض الشعرية علوقا بالنفس، فغالبا ما يصدر عن نفس متألمة ، وهو كباقي الأغراض تداوله العرب منذ الجاهلية لكنه أخذ طابعا خاصا في شعر الفتوحات ، حيث طرق فيه الشعراء معان معروفة لدى اسلافهم من الجاهليين كرثاء الاهل و الأقارب والسادة والقادة ،كما طرقوا مواضيع جديدة تعتبر تجديدا واضحا منهم كرثاء أنفسهم في البلدان الغربية أو رثاء بعض أعضائهم ، و برز فيه معنى الاخذ بالثأر من الكفار ، قال عمار ابن ياسر ينعى سليمان ابن خالد وعبد الله ابن المقداد[4] "

1 ـ أوب عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي: فتوح الشام، تح عبد اللطيف عبد الرحمان، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ،ط1 ،1417هـ، 1997م، ج1 ،ص101

2ـ المصدر السابق ،ج1 ، ص144

3ـابو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوزي التادلي : الحماسة المغربية ، تح محمد رضوان الدايو ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ،ط1، 1411هـ ،1991م، ص74

ـ الواقدي : فتوح الشام، ج2، ص1246

و حق من أعطى لنا نصره في كل واد ثم فتح قريب
لنأخذن الثأر من جمعهم جهرا و نطفي من فؤاد لهيب

3ـ الوصف

قدم شعراء الفتوح قصائد مميزة في غرض الوصف إن لم نقل تقارير عن المعارك و الاحداث التي شاركوا فيها بكل صدق وحماس ، وهذا أشد ما يميز هذا اللون الشعري عن الفترة الجاهلية، فعلى خلاف الجاهليين تركزت مواهب شعراء الفتوح في نقل الاحداث و الوقائع نقلا حيا يجعل الصورة حسية ماثلة أمام قارئها ، و مثال ذلك قول خالد ابن الوليد :"[1]

ثلاث مرار نحن نفتح بابها و ترتد للكفر الذميم وتجنح
ثلاثون ألفا قد محتها سيوفنا وأكبادنا من حرها النار تقدح

فجيش المسلمين يمتلك من القوة والصلابة ما مكنه من اختراق صفوف أعداء الإسلام ، ففرقهم و شتت جمعهم وجعل النصر من نصيبه.

إن أبرز ما يميز أغراض الفخر و الوصف عند هؤلاء الشعراء هو الصورة التي يرسمها الشاعر لنفسه ولجماعته و كأنه بذلك يشد من أزر الجيش الذي يحارب في صفوفه ، ولعله السبب في جعل هذه الصورة الخيالية عندهم تقترب من الأسطورة أحيانا ، خاصة في معرض تصوير الذات المتفردة تلبية لأغراض نفسية عديدة ، أهمها شد أزر الشاعر لنفسه بها ، ثم بث الخوف و الرعب في قلوب الأعداء ، ثم تشجيع المسلمين و تجديد عزيمتهم.

4ـ الحنين إلى الاهل و الأبناء

و يعد في طليعة المعاني التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بموضوع الفتوحات ، و يأتي هذا الغرض مكملا لمعاني الوصف ونقل مشاعر المجاهدين وهم في ساحات المعارك بعيدا عن الاهل و الأقارب و الأبناء،و من نماذجه قول أبي خراش الهذلي لابنه خراش الذي التحق بجيش المسلمين في فتح الشام:"[2]

2ـ المرجع نفسه: ج2، ص287

3ينظر: راميا محفوظ ، أنس ياسمين ، صورة الذات المتفردة في شعر الفتوحات الإسلامية، مجلة تشرين للدراسات والبحوث العلمية سلسلة الاداب والعلوم الإنسانية ، مجلد 28، العدد 1، 2006م ، ص133

ألا من مبلغ عني خراش و قد يأتيك بالنبأ البعيد

و قد يأتيك بالاخبار من لا تجهز بالحذاء ولا تزيد

يناديه ليغبقه كليب و لا يأتي ، لقد سفه الوليد

خصائصه:

1من خصائصه الواقعية ، و السرد على تبيان مشاعر الصبر وتمني الموت طلبا للجنة وهي مصير الصادقين من المجاهدين

2رغم بوادر التجديد التي جاءت بها قصيدة الغزوات الا ان بعضها ظل محافظا على الطابع العربي الفني، وتقليد الطلل

3 الاضطراب الفني كونه يقال ارتجالا و انفعالا لمواقف معينة ، إضافة الى عامل آخر أسهم في ظهوره بهذه الصفة المضطربة وهو الانتحال الذي دخل هذه القصائد فنسبت أبيات الى غير قائليها أو لأكثر من قائل لأسباب دينية او اجتماعية وربما بسبب اضطراب الفترة وعدم هدوئها لكثرة المعارك و الغزوات بين المسلمين و الكفار

4وحدة الموضوع و التخلي عن بناء القصيدة المركبة ، ما جعل قصائد الفتوحات تأتي في شكل مقطعات قصيرة لا يتجاوز أكثرها الخمسة عشر بيتا ،

د. عباس بلحاج

المراثي النبوية في العصر الإسلامي

1المراثي النبوية: هي كل "شعر قيل في وفاة الرسول صل الله عليه وسلم حزنا عليه، أو ثناء ، أو ترحما ، أوغير ذلك من معاني الرثاء"[1] لأن وفاته خلفت حزنا عميقا على نفوس الصحابة،

و المسلمين أجمعين بعد تعودهم عليه بينهم ، يوجههم ويحوطهم برعايته الشريفة ، ما دفع بعدد من أصحابه ومن الشعراء لنظم القصائد معبرين عن عميق الاسى الذي خيم على شبه الجزيرة العربية ، وعن الفراغ الذي وقع بعد وفاته صل الله عليه وسلم ، قال محمد الرابع الحسني :"لقد كانت وفاة الرسول عليه السلام أعنف صدمة نفسية ، واشدها ايلاما للصحابة رضي الله عنهم فكان لها أن تؤثر و تنشئ آثارا أليمة على نفوسهم"[2]

2 مضامين المراثي الإسلامية : دارت مراثي المسلمين حول معاني كثيرة أبرزها:

أ التسليم بقضاء الله و قدره متأثرين بقول الله تعالى :" ولنبلونكم بشيء من الخوف و الجوع ونقص من الأموال و الأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا إليه راجعون"[3]

3**تعداد صفات الميت** : "من تقوى و ايمان وأمانة و صدق و صبر ، وهي الصفات التي ذكرها حسان بن ثابت وهو يرثي محمدا صلى الله عليه وسلم "[4]

بالله ما حملت أنثى ولا ضعت مثل النبي رسول الرحمة الهادي

ولا مشى فوق ظهر الأرض من أحد أوفى بذمة جار أو بميعاد

من الذي كان نورا يستضاء به مبارك الامر ذا حزم و إرشاد

و القصيدة مليئة بالاقتباسات من القران الكريم و هذه من أهم الخصائص التي تميز المراثي الإسلامية كقوله:"[5]

نورا أضاء من البرية كلها من يهد للنور المبارك يهتد

1- محمد شمس عقاب: المراثي النبوية في أشعار الصحابة، مكتبة الامام البخاري للنشر و التوزيع ،ط1435،1هـ، 2013م، ص20

2- محمد الرابع الحسني الندوي: الادب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان ،ط1 ، 1405هـ، 1985م، ص44، 45

3- سورة البقرة الآية 155، 156

4- ديوان حسان بن ثابت الانصاري، تق عبدا مهنا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1414هـ، 1994م ، 66

5- نفسه : ص65

4ـ كما تميزت بظهور موضوع جديد وهو رثاء الشهداء و مثاله رثاء حسان بن ثابت لحمزة رضي الله عنه لما استشهد في أحد:

أسائله أصحاب أحد مخافة بنات أبي أعجم و خيبر

فقلت لها :إن الشهادة راحة و رضوان رب يا أمام غفور

فإن أباك الخير حمزة فاعلمي وزير رسول الله خير وزير

ب ـ خصائص شعر المراثي النبوية

1 ـ الصلاة و السلام على المتوفى كما في قول حسان بن ثابت :

فصلى المليك ولي العبا د ورب البلاد على أحمد

ومن ذلك قول فاطمة رذي الله عنها:"[1]

أغبر آفاق السماء و كورت شمس النهار و أظلم العصران

فالارض من بعد النبي كئيبة أسفا عليه كثيرة الرجفان

فليبكه شرق البلاد وغربها و لبكيه مضر وكل يماني

2 ـ التعبير عن الفاجعة التي أصابت المسلمين و الصحابة بعد وفاة الرسول صل الله عليه وسلم و نقرأ ذلك في مرثية أبي بكر الصديق:"[2]

باتت تأوبني هموم حشد مثل الصخور فأمست هدت الجسد

يا ليتني حيث نبئت الغداة به قالوا :الرسول قد أمسى ميتا فقدا

ليت القيامة قامت بعد مهلكه ولا نرى بعده مالا ولا ولدا

3ـ التذكير بأخلاق النبي صل الله عليه وسلم والثناء عليه ومن ذلك قول أبي بكر الصديق:"[3]

كان المصفاء في الاخلاق قد علموا وفي العفاف ، لم نعدل به أحدا

وقوله:" [4] أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

1-ابن رشيق: العمدة ،ج2 ،ص1171.

2- محمد شمس عقاب : المراثي النبوية في أشعار الصحابة ،ص35.

3- ديوان علي بن أبي طالب : جمع نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، 1405هـ، أيار 1985 م ، ص55.

4- نفسه ص10.

4. التأكيد على حجم الفجيعة و عظمتها و يظهر ذلك في تكرار العبارات و الصور التي تعبر عنها كقول كعب ابن مالك :"[1]

فإن تبكه خير الانام كثير الفواضل لا يجدب

و إن تبك سهل الجنا ب، محض الضرائب، لا يؤشب

و إن تبكه تبك نور البلا د، ضخم الدسيعة لا يحسب

5. التساؤل عن مصير المسلمين بعده ملمحين الى الصحابة من بعده بالثناء عليهم وباتصافهم بصفات محمد صل الله عليه وسلم ونقرأ ذلك مثلا في قول عبد الله ابن أنيس :"[2]

فيا ليت شعري من يقوم بأمرنا وهل لقريش يا إمام منازع؟

ثلاثة رهط من قريش هم هم أزمة هذا الامر و الله صانع

على أو الصديق أو عمر لها و ليس لها بعد الثلاثة رابع

6. أما من الناحية الفنية فقد تميز هذا النوع من الشعر لغويا باستعمال ألفاظ دالة على الحزن وخاصة عبارة البكاء التي أوردوها في صيغ شتى منها (بكت ، تبكي ، أبكي ، أبك) وعبارة الدموع و التي بدورها ترسم صورا شتى فالسماء والأرض و يثرب تبكي حزنا على ما ألم بها .

ومن العبارات المتكررة تلك الدالة على صفات الرسول صل الله عليه وسلم ،كالوحي و نور الأمين ، المصطفى وغيرها إضافة الى استخدام أساليب الشرط والاستفهام والنداء

1- محمد شمس عقاب : المراثي النبوية في أشعار الصحابة، ص230 ،231

2- . نفسه ، ص 238

الشعر في العصر الأموي

تمهيد

نشأت الدولة الأموية بعد سنة من مقتل الإمام علي –رضي الله عنه– 41 هـ 662م. وبنو أمية هم أحد أقوام قريش نسبة "لأمية بن عبد شمس" أحد رجالها. قام بتأسيسها معاوية بن أبي سفيان. وبعد مقتل عثمان بن عفان –رضي الله عنه– راح بنو أمية يطالبون بدمه ويعتبرون أنفسهم أوصياء لأن عثمان من بني أمية ،والذي تزعم هذه الحركة هو معاوية بن أبي سفيان،حيث كان أميرًا على الشام.[1]

وحين بويع علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– بقي معاوية على موقفه وتأخر في مبايعة علي. يشترط الأخذ بالثأر لعثمان بن عفان –رضي الله عنه– وبعد مقتل الإمام علي تطورت الظروف وتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية، وبايع الناس معاوية بالخلافة ،ولكن بقيت حركات سياسية تعارض الأمويين في السر والعلن، وتعمل على تقويض حكمهم مثل الشيعة والخوارج ،كما عارضهم آل الزبير.

تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب لمعاوية عن الخلافة جمعًا للكلمة ودرءًا للشر،فصار معاوية بذلك خليفة للمسلمين وأخذ يعمل جاهدًا على توطيد حكمه ثم إقراره في بيته والحيلولة بين الهاشميين وبينه. وسلك سبل الترغيب والترهيب وتوجه بالبيعة لإبنه يزيد،وبهذا استقرت الحكومة الأموية.[2] فأصبح الحكم وراثيًا فتداول على حكمها 14 من بني أمية في الشام و9 خلفاء في الأندلس من الأمويين .

كما عرفت الدولة الأموية حكم الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز (61 هـ -101 هـ) الذي شهد حكمه نوعا من الغنى والثراء لا مثيل له من قبل، فامتلأت خزينة بيت المال المسلمين ولم يجد في عهده فقير حتى قيل في عصره كانت الشاة ترعى مع الذئب. دام حكمه من 99 هـ إلى غاية 101 هـ، أي سنتين ونصف السنة.

وعرف عصر بني أمية عدة معارك بين الأمويين والزبيريين منها معركة كربلاء بين يزيد بن معاوية والحسين بن علي بن أبي طالب الذي كان فيها قائد الجيوش الحجاج يوسف الثقافي.

وانتهى حكم الدولة الأموية بعد سقوطها في المعركة الكبيرة على يد العباسيين. 132 هـ/ 750م.

1- مصطفى خليل الكسواني، زهدي محمد عبيد . حسين حسن قطناني، مختارات من الشعر العربي القديم، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1431 هـ- 2010م، ص 76.

2- نفسه ،ص 77.

الأغراض الشعرية في العصر الأموي:

أ- الغزل: لقد نال الغزل قسطا وافرًا من قصائد الشعر الأموي، فتنوع في هذا العصر ورجع الغزل الماجن الذي حرمه النبي (ص) والقرآن الكريم، كما نجد الغزل العذري الذي يبتعد عن وصف المحاسن الجسدية والمعنوية للمرأة. بل يقتصر على إظهار المشاعر الجياشة اتجاهها. وهو ينسب إلى "بني عذرة" وهو يعتمد على الابتعاد عن الإباحية في وصف المحاسن وإظهار المعاناة والألم نتيجة البعد عن الحبيبة ولوعة الفراق بينهما والتغزل بالمحبوبة الواحدة طول حياة الشاعر[1]. ومن أبرز شعراء هذا النوع (الغزل العذري العفيف) نجد قيس بن الملوح في تغزله بابنة عمه ليلى في عدة قصائد نذكر منها:

أَعُدُّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ ***وقد عشت دهرًا لا أَعُدُّ الليالیا

أُصلي فما أدري إذ ما ذكرتها ***اثنتين صليتُ العِشاء أم ثمانيا

عشقتك يا ليلى وأنت صغيرة *** وأنا ابن سبع ما بلغت الثمانيا

يقولون ليلى في العراق مريضة *** ألا ليتني كنت الطبيب المداويا

وقالوا عنك سوداء حبشية *** ولولا سواد المسك ما انباع غاليا[2]

وهذا جميل بن معمر أحد شعراء الغزل العذري أيضا الذي أحب وعشق بثينة بنت الحباب يحي من بني ربيعة من قبيلة "عذرة" منذ الصغر،فلما كبر خطبها فمنعه أهلها عنها فزوجوها لرجل آخر،فانطلق بتنظيم الشعر فيها حيث يقول:

أبثين إنك قد ملكت فأسجحي *** وخذي بحظك من كريم واصل

فلرب عارضة علينا وصلها *** بالجد تخلطه بقول الهازل

فأجبتها بالقول بعد تستر *** حبي بثينة عن وصالك شاغلي.[3]

1- نور الدين مهري، النص الأدبي القديم، ص 70-71

2- قيس بن الملوح، الديوان، مجنون ليلى، دراسة يسرى عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1420 هـ-1999م ص 38.

3- جميل بن معمر، الديوان، دار صادر بيروت، د ط. د ت. ص 107.

وهنا وقفة مع الشاعر جرير الذي كان في هجائه للفرزدق ما يعرف بشعر النقائض ،فهو كذلك شعره يمتاز بتغزله الرقيق الذي كان يقدم على الحزن أن يبلغ من هذا الغزل كما يريد من تصوير الحب الخالص الطاهر إذ ما يزال فيه يتلطف ويستعطف ويشكو ويتضرع على شاكلة [1] قوله:

لقد كتمت الهوى حتى تهيّمني *** لا أستطيع لهذا الحب كتمانَا

إن العيون التي في طرفها حور *** قتلننا ثم لم يُحيين قتلانا[2]

* والغزل الماجن (الصريح ، الإباحي) أو ما يسمى بالعمري" نسبة إلى عمر بن أبي ربيعة الذي شاع شعره في هذا النوع من الغزل الذي ينتقل من شكوى الغرام ولوعة الفراق إلى الوصف والغزل الحسي، ويعتبر نقيضا للغزل العذري،وهو يمتاز على عدم ثبات الشعراء على إمرأة واحدة مما أدوا إلى التغزل بكثير من النساء،وكذلك براعة وجودة الوصف لمفاتن المرأة والجواري،كما غلب على شعرهم الإطار القصصي في وصف مغامراتهم الغرامية ووصف القامة والمشية وبشرة الجسم وأعضائه، وأيضا نجد الحوار ضمن القصيدة: قالت، قلت[3] ،حيث يقول عمر بن أبي ربيعه لما شغل تلاث أخوات به:

قالت الكبرى أتعرفين الفتي**** قالت: الوسطي نعم هذا عمر

قالت ألصغري وقد تيمتها****قد عرفناه وهل يخفي القمر

والوحدة الموضوعية والرقّة والعذوبة في الألفاظ وفن الترسل في الأبيات أي القصيدة عبارة عن رسائل بينه وبين محبوبته.

ب– الهجاء: لقد ذم الشعراء الأمويين وهجوا من خالف سياستهم وشجعوا صور الهجاء بسبب العصبية الحزبية (التعصب الحزبي)،حتى تولدت في هذا العصر حرب كلامية ما يسمى "بشعر النقائض" بين جرير والفرزدق والأخطل، حيث أصبحت النقيضة عبارة عن نقاش سياسي تعصبي.

إن كثرة الأحزاب السياسية من شيعة وخوارج ومعتزلة ... أدت إلى ظهور الهجاء المقذع بين الشعراء،حيث أصبح كل شاعر يفتخر ويمدح حزبه وانتمائه إليه ويهجوا ويقذع في الحزب المعارض له حيث أخذ الشعراء يهجون خصومهم بانحرافهم عن الدين فأطالوا في وصفهم بالظلم والبغي والطغيان كقول جرير في آل المهلب.[4]

1 – شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، 1974.، ص 380.

2 – جرير، الديوان، بيروت للطباعة والنشر د ط، 1406 هـ-1986م، ص 474.

3 – نور الدين مهري، النص الأدبي القديم، ص 74-75.

4 – شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص 411.

آل المهلب فرطوا في دينهم *** وطغو كما فعلت ثمود فبارُوا

إن الخلافة يا ابن دحمة دونها *** لُجَج تضيق بها الصدور غمار

هل تذكرون إذ الحساس طعامكم *** وإذ الصغاوة أرضكم وصُحارُ

رقصت نساء بني المهلب عُنوةً *** رقص الرِئال ومالهن خمارُ[1]

ودائما يرمي شعراء الشيعة الأمويين بالظلم وانتهاك الحرمات وتعطيل أحكام الدين وابتداع ما لم يأت به كتاب ولا سنة مثل قول الكميت بن ريدا لأسدي:

لهم كل عام بدعة يحدثونها *** أزلّوا بها أتباعهم ثم أَوْحَلُوا

كما ابتدع الرهبان ما لم يجئ به *** كتاب ولا وحي من الله منزلُ

تحلُّ دماء المسلمين لديهمُ *** ويحرمُ طلع النخلة المتهدِّلُ.[2]

كما نجد أن الولاة كانوا يشجعوا الشعراء على الهجاء للأحزاب الأخرى مثلما شجع يزيد بن معاوية الأخطل الثغلبي على هجاء الأنصار وأمّنه من غضب والده معاوية بن أبي سفيان يقول:

خلُوا المكارم لستم من أهلها *** وخذوا مساحيكم من النّجار

ذهب قريش بالمكارم *** واللؤم تحت عمائم الأنصار[3]

ج- المدح: لقد مدح الشعراء في العراق الولاة والخلفاء الذين تداولوا على حكم بني أمية فكانوا يمدحون أيضًا نوابهم وأصحاب شرطهم على الخراج. كما مدحوا انتماؤهم لحزبهم السياسي وكما أخفى الشعراء على ممدوحيهم صفات التقوى والورع وحماية المسلمين. وإن بقي المدح أحيانا يشرئب إلى صفات المدح عند الجاهلين.

فنجد الفرزدق يمدح الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما طاف بالبيت فلما إنتهى إلى الحجر الأسود تنحّى له الناس حتى أستلم الحجر. وكان حاضرًا الشاعر الفرزدق في ذلك فأنشد يقول:

هذا الذي تعرّف البطحاء وطأته *** والبيت يعرفه والحلُ والحرمُ

هذا ابن خير عباد الله كلّهُمُ *** هذا التقي النقي الطاهر العلم

كما تمدح الشاعرة ليلى الأخلية (ت 80 هـ) الحجاج بن يوسف الثقافي وبعد انتهائها أمر لها بخمسين مائة درهم وخمسة أثواب وخمسة جمالٍ حيث تقول:

1 - ديوان جرير، ص 144.

2 - شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، 1974.، ص 380.

3 - شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص380.

إذا هبط الحجاج أرضًا مريضة *** تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العُضال الذي بها *** فلام إذا هزَّ القنا سقاها

سقاها دماء المارقين وعلها *** إذا جمعت يوما وخفيف أذاها.

إذا سمع الحجاج صوت كتيبة *** أعدلها قبل النزول قراها[1]

ك– الرثاء: كان الشعراء في هذا العصر يرثون الولاة والخلفاء من بني أمية وكذلك أقربائهم مثل ما نجده عند جرير لما يرثي زوجته فيقول:

لولا الحياء لهاجني استعبار *** ولزرت قبرك والحبيب يُزارُ

ولهت قلبي إذ علتني كَبْرَةٌ *** دووا التمائم من بنيك صغار

صلى الملائكة الذين تُخيّروا *** والصالحون عليك والأبرارُ[2]

كما طبع الرثاء عامة في هذا العصر بالروح الدينية بالنسبة الذين قتلوا منذ علي بن أبي طالب، وقد تحول مقتل الحسين منذ حدوثه إلى عويل وتفجع رهيب. وكان من يرثون الأمويين يستشعرون هذه الروح في مراثيهم كقول جرير في عمر بن عبد العزيز:

نعي النُعاة أمير المؤمنين لنا **** ويا خير من حجّ بيت الله واعتمرا

حُمِلتُ لأمرا عظيمًا فاصطبرت له *** وقمت فيه بأمر الله يا عمرا

فالشمس طالعة ليست بكاشفة *** تبكي عليك نجوم الليل والقمر[3]

بينما نقرأ في أبيات الفرزدق ما تطرب النفس له في رثائه للخليفة عمر بن عبد العزيز:

كم من شريعة عدلٍ سننت لهم ***كانت أُمِيتتْ وأخرى منك تنتظرُ

يا لهف نفسي ولهف اللاهفين معي *** على العدول التي تغتالها الحفرُ[4]

الفخر: افتخر الشعراء بنفسهم وعزة نفسهم ونسبهم وشرفهم وإلى انتمائهم إلى أحزابهم السياسية وتوجههم الديني وإلى ولائهم إلى الخليفة وهذه أبيات للفرزدق يفتخر فيها بنفسه وبقومه فيقول:

1 – ليلى الأخلية، الديوان، تحقيق خليل إبراهيم العطية وجليل العطية وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، د ط، د ت ، ص 121.

2 – ليلى الأخلية، ص 218.

3 – ديوان الفرزدق، ص 218.

4 – نفسه، ص 377.

إن الذي سمك السماء بنى لنا *** بيتًا دعائمه أعزُ وأطولَ

أحلامنا تزن الجبال رزانة *** وتخالنا جنًّا إذا ما نجهل[1]

خصائص الشعر في العصر الأموي:

لقد تميز الشعر العربي القديم بعدّة خصائص نجملها في النقاط التالية :

- التأثير على التصوير رغبة في إبراز الأفكار والمعاني.
- سهولة الألفاظ وعذوبتها ورقتها.
- بناء القصيدة كان على طريقة الجاهلين في تعدّد الأغراض الشعرية في القصيدة.
- الالتزام بموسيقى البحر ونظام الوزن الواحد وحرف الروي والقافية الموحدة.

د. عباس بلحاج

1 - نفسه، ص 378.

شعر النقائض في العصر الأموي

تمهيد

إن النقيضة في اللغة هي المخالفة والتكلم بخلاف، وهو إفساد ما أبرم من عقد أو بناء ونقض البناء هدّمه.[1]

والنقائض اصطلاحًا: هي فن شعري طريف، شاع في العصر الأموي، بل هو مناظرة فنية بالشعر في عصبيات القبائل والعشائر.

والنقائض هي أن يقول الشاعر قصيدة يهجو فيها شاعر آخر ويسخر منه ومن قبيلته. ويفتخر بنفسه ورهطه وبما يتمتع بأنساب وأمجاد في الجاهلية وفي الإسلام فيجيبه ويرد عليه شاعرًا آخر بقصيدة أخرى على نفس الوزن والقافية وحرف الروي، فينقض ما جاء به الشاعر الأول من معانٍ ويضيف على ما جاء به الشاعر الأوّل من فخر وهجاء.

نشأة النقائض:

إن النقائض قديمة ،وعرفت في العصر الجاهلي حيث الخلاف والنزاع بين القبائل فينتصر لها شاعر وهذا يقف مع هذه القبيلة ويفتخر بها في قصيدة ويعدد مناقبها ويهجو من يهاجمها ويعاديها والعصبية القبلية هي المدعاة الأولى لنشوء العصر،و قد وصلت إلى درجة الفن الذي وصلت إليه في العصر الأموي فكانت تتمركز في الرد على الشاعر ونقض المعاني التي أوردها في قصيدته.[2]

وجاء الإسلام فأصبح شعراء المسلمين يدافعون عن مواقفهم وعقيدتهم وكذلك المشركين على الكفر والشرك والأوثان يدافعون عنها،منهم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن الزبعري.

ومن المسلمين نجد حسان بن ثابت وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة[3]. لكن الهجاء كان فردي في هذا العصر،لم يكن دائمًا التقيد بالرد على الخصوم من الشعر أو بالوزن والقافية والبحر والروي، كما ابتعدت نقائض شعراء الإسلام عن الفحش في الهجاء وعدم جرح الأعراض وانتهاك الحرمات.

1 – ابن منظور، لسان العرب دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج7، ط41، د ت، ص 242.

2 – مصطفى خليل الكسواني، زهدي محمد عبد حسين حسن قطناني مختارات من الشعر العربي القديم.ص89

3 – نفسه، ص 90.

ولما جاء العصر الأموي ركز الخلفاء على إثارة العصبية القبلية وظهرت الأحزاب السياسية وأصبح التعصب الحزبي السياسي. [1] وفداها الخلفاء وولاتهم بما أعدلهم من قوة الشعراء الموالين للخلافة الأموية وعلى الأحزاب السياسية التي تقف وتؤيد الخلافة الأموية ولذا ازدهر فن النقائض هذا.

نقائض الشعراء في العصر الأموي:

كثرت النقائض في العصر الأموي واكتملت من حيث ميزاتها ومعانيها وأشكالها فقد سبقت نقائض جرير والأخطل التي دامت عشرين سنة أما نقائض جرير والفرزدق فقد دامت خمسًا وأربعين سنة.[2] وهذا ما أتاح لنقائض جرير والفرزدق أن تكون أكثر عددا وأكمل فنًا وأتم صنعًا.

ويؤكد لنا الرواة أن خصومة وقعت مع جرير وشاعر آخر يسمى غسانًا من أحد قبائل يربوع ودخل بينهما بنو مجاشع. فتفوق عليهم جرير فذهب بنو مجاشع إلى شاعرهم الكبير (الفرزدق) الذي كان قد فرّغ نفسه لحفظ القرآن الكريم وصارت عنده نية ترك الشعر. فأظهر شيئا من التردد، ولكن نسوة من قومه استثرنه للرد على جرير ومازلن به كذلك حتى شارك في المعركة الشعرية ضد جرير[3] وكانت معركتها الكلامية في مسرح سوق المربد.

وفي عصر الحجاج بن يوسف الثقافي هدأت المعارك الأدبية وقويت بعد موته، واستمرت كذلك حتى لفظت أنفاسها مع موت أصحابها.

أسبابها:

هناك عدة أسباب وعوامل عقلية و اجتماعية وسياسية أدت إلى قيام النقائض في العصر الأموي نذكر منها.

- تشجيع خلفاء بني أمية لهذا الفن. لصرف الناس عن التفكير في السياسة ومن هم أحق الناس بالخلافة.
- التكسب المادي، إذ لم يكن جميع شعراء هذا الفن صادقين في تعبيرهم وقصائدهم من مدح وذم وهجاء، بل كان دافعهم الأوّل الكسب المادي.[4]
- تعدد الأحزاب السياسية في هذا العصر أدى إلى التعصب الحزبي لدى الشعراء والدفاع عنه.

1 - نفس المرجع السابق، ص 90.

2 - شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص 242.

3 - نفسه، ص 243.

4 - مصطفى خليل الكسواني، زهدي محمد عبيد . حسين حسن قطناني، مختارات من الشعر العربي القديم، ص 90.

– الفتوحات الإسلامية التي أدت إلى دخول المدينة والتمدن إلى المجتمع البدوي، الذي رافقه دخول الطرب والغناء واللهو والتسلية. إلى مكة والحجاز. أما الكوفة والبصرة فقد تمسكتا بالبدوية. مما جعل سكان هذه المناطق يجدون في النقائض وسيلة لقضاء أوقات الفراغ والتسلية بما يلقيه الشعراء من شعر.[1]

– نمو العقل العربي وسيع مخيلته وخاصة الحوار والجدل. وعلى ضوء ذلك أخذ شعراء النقائض يتناظرون في أحوال القبائل ومفاخرها.

بعض نقائض جرير والفرزدق وجرير والأخطل:

يقول الفرزدق مفتخرًا بشرفه وأصله وقبيلته وعزة بيته:

إن الذي سمك السماء بنى لنا *** بيتا دعائمه أعزُ وأطولُ

بيتا بناه لنا المليك وما بنى *** حكمُ السماء فإنه لا ينقلُ.[2]

ويجيبه جرير قائلاً:

أخزى الذي سمك السماء مُجاشعًا *** وبنى بناءك في الحضيض الأخطل

إني بُنِيَ لي في المكـارم *** ونفحت كيرك في الزمان الأول[3]

ويهجو الفرزدق جريرًا يركز على دم قبيلته ونسبه وتحقيره فيقول:

وجدت قومك فقأوا من لؤمهم *** عينيك عند مكارم الأقوام

صغرت دلاؤهم فما ملأوا بها *** حوضا، ولا شهدوا عراك زحام[4]

فأجابه جرير:

مهلا فرزدق على العمى إن قومك فيهمُ *** خورُ القلوب وخفة الأحلام

الطاغون على العمى بجميعهـم *** والنازلون ببشر دار مقام[5]

ويقال أن الأخطل الثغلبي قد حكم للفرزدق بالسبق على جرير بعد أن أغراه بشر بن مروان والي العراق بأن ينحاز للفرزدق بعد أن حكم بالسبق لجرير.

1 –نور الدين مهري، النص الأدبي القديم، ص 62.

2 – ديوان الفرزدق، ص 377.

3 – ديوان جرير، ص 340.

4 – ديوان الفرزدق، ص 311.

5 – ديوان جرير، ص 311.

ويقول الأخطل:

أخسا إليك كليب مجا شعا *** وأبا الفوارس نهشلا إخوانِ

وإذا سمعت يداو قد أقبلوا *** فأهرب إليك مخافة الطوفان[1]

فيرد عليه جرير:

با ذا الغباوة إن بِشْرَ قدْ قضى *** ألا تجوز حكومة النشوان

تدعو الحكومة لستم من أهلها *** إن الحكومة في بني شيبان[2]

خصائص شعر النقائض:

1- طول النقيضة (القصيدة) : اختلطت العصبية القبلية بالأمور السياسية حيث خاضت النقائض في مدح الخلفاء والولاة إلى جانب الفخر والهجاء والولاة و إلى جانب الفخر والهجاء والغزل والمدح والأمور السياسية،وتقييد الشعراء بالوقوف على الأطلال ووصف الناقة والنسيب (الغزل).فقصيدة جرير الرائية بلغت أكثر من خمسين بيتًا.

2- التأثر بالإسلام: لقد دخلت المعاني الإسلامية في النقائض فبيئة شعرائها إسلامية،مثل قول الفرزدق يهجو جرير ويفتخر بنفسه:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها *** وقضى عليك به الكتاب المنزل[3]

وهذا ما ورد في القرآن الكريم "مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ولو كانوا يعلمون"[4]

3- الإفحاش والهجاء: لم يتورع شعراء النقائض عن الفحش في الهجاء فلجأوا إلى الإقذاع واستعملوا أساليب وألفاظ وعبارات تناولت الأعراض فانتهكوها والمحرمات فأباحوها وبمنتهى التصريح الفاضح لا التلميح إلى درجة لا تقرها لا الأديان السماوية ولا الأخلاق العربية حتى قال جرير: "ما هجينا بشيء أشر قط أشد علينا من قول الأخطل"[5]

1 - ديوان الأخطل، ص 271.

2 - ديوان جرير، ص 217.

3 - ديوان الفرزدق، ص 355.

4 - سورة العنكبوت، الآية 41.

5 - شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص 245.

4- اعتماد السخرية: كانوا يتمتعون في شعرهم بالسخرية من المهجو وذلك قصد تسلية الحضور في الأسواق (سوق المِربدْ)

5- توليد الصور والمعاني: توفر لديهم خيال الخصب لابتكار الصور والمبالغة في المعاني واختراع الوقائع و الحوادث ما تضمن ذلك من اللجوء إلى الكذب والبهتان.

6- استخدام أسلوب المقارنة والموازنة: ويظهر هذا بين أسلوب الشاعرين المتناقضين في الجمال والدقة والعذوبة.

7- رصد صفات الخصم: عمدوا إلى الرصد لينهالوا على خصومهم بالهجاء والشعر المقذع.

8- النقائض فن دائم مستمر غير منقطع.

والحق أن النقائض لم تكن إلا مناظرات أدبية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة وهي مناظرات احتفظ لنا بها الشعر العربي.

د. عباس بلحاج

الغزل العذري والصريح

أ الغزل لغة واصطلاحا

أصل كلمة غزل من غزلت المرأة تغزلا و غزلا بالمغزل ، والغزل وهو حديث الفتيان مع الجواري، و مغازلة النساء: محادثتهن ومراودتهن ،كما يعني حديث الفتيان والسيدات ، والتعزل ، تكلف ذاك "[1]

اذا كان الغزل ينبع من عاطفة الحب ، وهي عاطفة إنسانية فقد وصلتنا عن شعراء العرب على اختلاف عصورهم نماذج شعرية عالية الفنية ، وتجلياته في العصر الجاهلي واضحة في مقدمات القصائد التي تمتلئ بالبكاء على رحيل الاحبة ،وما يرافقها من تذكر و ألم جراء انقضاء الزمن الجميل الذي كان يوفر للشاعر لحظات الحب و الاستئناس ، حتى وإن كانت مقرونة بالخوف من المجهول ، لذلك ارتبط الغزل عندهم بموضوع الاطلال و بالرسوم كما نقرأه في أشعار امرئ القيس كقوله:"[2]

لمن طلل أبصرته فشاجني كخط زبور في العسيب اليماني

ديار لهند و الرباب و فرتنا ليالينا بالنعف من بذلان

و يرتبط بالهجران موضوع آخر وهو طول الليل وما يتبعه من سهر ووجد وقلق لقلة النوم وكثرة التفكير، كما يدل عليه قول زهير:"[3]

تطالعنا خيالات لسلمى كما يتطلع الدين الغريم

1- داود سليمان العنبكي، إنعام داود سلوم: كتاب العين مكتبة لبنان ناشرون، لبنان ترتيب داود، سلوم،2004 ،ط1، ص608 محمد محي الدين عبد الحميد محمد عبد اللطيف السبكي ، المختار من صحاح اللغة، ص 372، ابن منظور : لسان العرب ، تنسيق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ط1، 1408هـ ،1988م ، مج ، ص65.

2- ديوان امرئ القيس، تح مصطفى عبد الشافي، ص 165، الطلل : ما شخص من آثار الديار ، شجاني : هاج بي الحزن و الهم ، الزبور: الكتاب المزبور أي المكتوب بالمزبر، وهو القلم ، بالعسيب اليماني : بسعف النخل ، هند و الرباب وفرتنا: أسماء فتيات كان يشبب بهن ، النعف: المكان المرتفع ، بدلان : موضع.

3- ديوان زهير ابن ابي سلمى، تح علي حسن فاعور،ص 119.

وبطول الليل تهيج ذكريات الشعراء ويتوالى الحديث عنها في قصائدهم كما في معلقة امرئ القيس:"[1]

كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل

ففاضت دموع العين مني صبابة على النحر حتى بل دمعي محملي

فلما جاء الإسلام تعفف الشعراء في الغزل الا ما وقع عادة و استهلالا ،بمرور الزمن ، عاد هذا لغرض يضرب بسهمه من جديد في الشعرية العربية، ففي القرن الثاني الهجري ظهرت موضوعات شعرية نتيجة ظهور تيارات و اتجاهات ثقافية ودينية و سياسية جديدة اغنت تجارب الشعراء بسبب فسح المجال للشعوب غير العربية للتعبير عن أهوائها وميولها ، أمام ذلك ظهرت قصيدة الغزل في أثواب عدة منها:

أ الغزل الفاحش: يشيد هذا النوع من الغزل بالمتعة التي تتحقق بلقاء المرأة ، وان كان امتدادا للغزل الجاهلي الفاحش، فقد عرف أنواعا جديدة كالغزل بالمذكر الذي تغذى بالمجون خاصة بعد إزدهار تجارة الرقيق"

ويدل هذا النوع من الشعر على درجة من الترف و الفراغ والخلاعة ، التي شاعت بين فئات معينة من طبقات المجتمع العباسي ، ومن أخطر أنواعه الغزل بالمذكر، ويوصف عادة بالغزل الشاذ ،

واقد شاع هذا الغرض مرتبطا بأبي نواس وله فيه شعر كثير لقوله:"[2]

من كان تعجبه الانثى ويعجبها من الرجال فإني شفني ذكر

فوق الخماسي لما طر شاربه رخص البنان خلا من خده الشعر

و لم يعش هذا النوع من الغزل كثيرا فسرعان ما خرس شيطان الشعراء لأنه لم يجد مريدين يشجعون عليه ويقبلون على تذوقه

ب الغزل في الغلاميات: "ويقصد به الغزل بمن تشبهن بالغلمان في زيهن وقد ظهر أيام المأمون" [3]

1- المرجع السابق ، ص 111، كدأبك: كعادتك بمأسل : اسم ماء بعينه ، تضوع المسك منهما : فاح وانتشرت رائحته شوقي ضيف :تاريخ الادب العربي العصر العباسي الأول، ص56.

2- ديوان أبي نواس، برواية الصولي، تح بهجت عبد الغفور الحديثي ، دار الكتب الوطنية ، هيئة أبو ظبي للثقافة و التراث ن الامارات العربية المتحدة، ط1، 1431هـ، 2010م،ص525.

3- عبد الحميد جيرة : مقدمة لقصيدة الغزل العربية، دار العلوم ن بيروت، لبنان، ط1 ،1412هـ، 1992م ،ص180

من نماذجه قول ابي نواس:"[1]

غلام والا فالغلام شبيهها وريحان دنيا لذة للمعانق

ج الغزل بالجواري والقيان : شغل هذا الموضوع حيزا كبيرا عند شعراء الغزل في القرن الثاني لتوفر كثير منهن على جانب من الجمال و العلم ما شجع على التعلق بهن

وقد ظهر الغزل الذي ارتبط بالجواري بطابعيه العنيف و الماجن ،و من امثلته قول بشار في جارية و اسمها عبدة"[2]

ما كنت أول مشغوف بجارية يلقى بلقيانها روحا و ريحانا

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم الاذن كالعين توفى القلب ما كانا

د **الغزل العذري**:

الغزل العذري هو غزل يبتعد عن الفجور و الغرور و الالفاظ الفاحشة و التصريح الفاضح، منهجه العفة و الطهارة و الحلم والصدق و السلوك السوي ، وهذا اللون من الشعر أوجدته ظروف وعوامل كالتي اوجدت المجون، وتتمثل في رقي و ترف الحياة العربية وامتزاجها بباقي الثقافات الأجنبية و ظهور طبقة من الناس مالت الى الزهد و التعفف و الحياء ، جاء في كتاب مقدمة لقصيدة الغزل العربية :"ذلك التغزل الذي لايشرح جسد المرأة كما لا يقص علينا القصص المحرمة أخلاقيا ، كما كان يقص علينا شعر امرئ القيس وعمر بن ابي ربيعة"[3]

ان قصيدة الغزل العفيف تمثل الشعر النقي في مقابل الشعر الماجن لان شعرائه مجبولون على الوفاء ، متشبعون بالروح الإسلامية التي تتخذ من الحياء سبيلا للحياة ، لذلك نقرا في أشعار العذريين ما يدل على تأصل الثقافة الإسلامية كما في قول جميل وقد شبه حبيبته بالبدر في ليلة القدر :"[4]

هي البدر حسنا و النساء كواكب و شتان ما بين الكواكب و البدر

1- ديوان ابي نواس،ص620

2- ديوان بشار ابن برد: شرح وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر ،القاهرة ،مصر،ج3، 1386هـ ، 1996م ،ص 206،207.

3- عبد الحميد جيرة:مقدمة الغزل العربية ،ص187

4- ديوان جميل بن يعمر: دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ص58

لقد فضلت على الناس حسنا مثلما على الف شهر فضلت ليلة القدر

وقول مجنون ليلى:"[1]

تداويت من ليلى بليلي كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

الا زعمت ليلى بأ لا احبها بلى والليال العشر و الشفع و الوتر

هـ . خصائص الشعر العذري

اغلبه عبارة عن مقطوعات تنساب معها العواطف انسيابا رقيقا ، و تتدفق وفقها المشاعر فتنبعث منها المعاني سيلا جارفا يحمل النفس التي تقرأه بعيدا كما لو انه جاء طوالا

ويتم ذلك ببساطة العبارة ووضوح المعنى الناجمين عن بساطة التجربة ووضوحها ، وتكشف حالة العشق ما جعل لغتهم الشعرية اكثر تميزا عن لغات باقي الأغراض وحتى عن الغزل الماجن ، بل جعلها لغة يسيرة تتغنى بنقاء وصفاء النفس في تعلقها الروحي .

عموما لقد تحاذبت قصيدة الغزل العربية تياران احدهما ماجن ولع بالمتعة الحسية ، فتفانى في التصوير المؤدي لذلك بحرية تامة ، والآخر عفيف يتميز بمجموعة من الخصائص أولها الحشمة و الوفاء ، كما يتميز بالاقتباس من القرآن الكريم وبسهولة اللفظ و بساطة لصدق العاطفة ، كونها وليدة انفعالات صادقة.

1- ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى: دراسة يسري عبد الغني ،

الشعر في العصر العباسي

ينطلق العصر العباسي (132 هـ/ 606م) بسقوط الدولة الأموية في الشام وقيام الدولة العباسية في العراق على يد سلالة أصغر أعمام النبي صلى الله عليه وسلم، ألا وهو "العباس بن عبد المطلب" فنقلوا عاصمة الدولة إلى بغداد بالكوفة ،بعدما كانت في دمشق عند الأمويين.وإنتهى الحكم العباسي في سنة (656 هـ 1258م) عندما أقدم هولاكو خان التتري[1] على نهب وحرق المدينة وقتل أغلب سكانها بما فيهم الخليفة وأبنائه.

ويعود سبب سقوط الدولة العباسية هو بروز حركات شعوبية ودينية مختلفة في هذا العصر،وهناك فرق دينية متعددة عارضت الحكم العباسي حول "الخلافة"،وكذلك من أسبابها الداخلية التي أدت إلى سقوطها انتشار الحركات الانفصالية ،واتساع رقعة الدولة العباسية أدى إلى صعوبة المواصلات في ذلك الزمن ،جعل الخلفاء والولاة في البلاد النائية يتجاوزون سلطاتهم ويستقلون بشؤون ولاياتهم دون أن يخشوا الجيوش القادمة من عاصمة الخلافة لإخماد حركتهم الانفصالية والتي لم تكن تصل بعد فوات الأوان ومن أبرز الحركات الانفصالية عن الدولة العباسية حركة الأدارسة وحركة الأغالبة والحركة الفاطمية.

ففي الدولة العباسية اختلط الأنساب والأجناس من عرب وفرس وروم وترك وعجم،وتغيرت الحياة البيئية في كل المجالات من مأكل وملبس وآداب وسلوك،وذلك بالزواج من غير العربيات، حيث أصبح العرب ليسوا أفضل من سواهم في كل شيء.

انتشر في هذا العصر طبقة الجواري التي عني بها بيوت الخلفاء وقصور السلاطين والمماليك فانتشر الغناء والرقص واللهو والترف ،كان هذا مدعاة إلى الفساد الاجتماعي للبيئة العباسية وظهرت طبقة الغلمان التي انتشرت بكثرة في هذا العصر.[2]

كل هذا أدى إلى الترف وانغمس الملوك في اللهو والضياع وانتشر شراب الخمر وانغمسوا في ملذات الحياة الماجنة،وهذا مرده أنّ الدولة العباسية أصبحت دولة فارسية بعدما استعان العباسيون بالفرس على نيل الخلافة. وأصبح الفرس والخرسانيون أبناء الدولة،الأمر الذي أثار نقمة العرب وبالأخص الشيعة منهم على العباسيون.

1 – مصطفى خليل الكسواني، زهدي محمد عيد . حسين حسن قحطاني، مختارات من الشعر العربي القديم، ص 92.

2 – نفسه، ص 93.

وتوسعت اقتصاديات البلاد في العصر العباسي توسعًا كبيرًا مما زاد في الترف واللهو وتنوع الفنون وأصبحت بغداد لا نظير لها في ذلك الوقت في عمرانها وفخامة أمرها وكثرة علمائها وأعلامها وكثرة مزارعها وتطورت التجارة وتوسعت.

أما ثقافيًا تطورت الدولة العباسية وذلك بتشجيع الخلفاء العباسيون الحركة العلمية وبالغوا في إكرام الأدباء والعلماء وولوهم أحياناً المراكز العالية،وكان للثقافة أثر كبير في الأدب من نحو ولغة وفقه.

الأغراض الشعرية في العصر العباسي:

1- الغزل: كان في هذا العصر ينبع من عاطفة صادقة، لذلك تميزت بالرقة والتلطف وسار في اتجاهين: الغزل العفيف مثل الذي نجده في غزل أبو فراس الحمداني لابنة المتوكل فيقول"

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر *** أما للهوى نهي عليك ولا أمر

بلى أنا مشتاق وعندي لوعة *** ولكن مثلي لا يداع له سر؟[1]

وأما الاتجاه الثاني فتمثل في الغزل الماجن الذي كان سبب انتشاره الجواري والقيان. فجاء غزلاً صريحًا حتى وصل إلى أقصى درجة المجون وذلك لانغماس الشعراء في أنواع الترف والنعيم مثل بشار بن برد وابن الرومي وأبو نواس

2- المدح: أصبح في هذا العصر مدح الخليفة، فكان الشعراء يمدحون الخلفاء والوزراء والقادة وكل من يلعب دورًا في تصريف شؤون الدولة، فخلق الشعراء صورًا حية في نفوس الممدوحين بما استنبطوه في معانٍ دقيقة في الكرم والمروءة والشجاعة وشرف النفس وعلو الهمة.مثل ما قال به أبي تمام لأبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد في فتح عمورية:

السيف أصدق أنباء من الكتب *** في حده الحدّبين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في *** متونهن جلاء الشك والريب[2]

و يقول البحتري في مدح المتوكل:

خلق الله جعفرًا قيم الدن *** يا سَدادًا وقيم الدين رشدا

أكرم الناس شيمةً وأتم النا *** س خلقًا وأكثرُ الناس رِفدَا[3]

1 - أبي فراس الحمداني، الديوان شرحه نجله قلفاط، مكتبة المشرق، المطبعة الأدبية، بيروت، د ط، 1915، ص 60.

2 - حبيب بن أوس الطائي أبي تمام – الديوان. شرحه الخطيب التبريزي، دار المعارف، القاهرة، ط 8، د ت، ص 410.

3 - البحتري- الديوان شرحه وعلّق عليه حسن كامل الصيرفي- دار المعارف المصرية، االقاهرة، ط2، د ت، ص 196.

3–الهجاء: لم تعد العصبية في هذا العصر أساس الهجاء بسبب اختلاط الأجناس والأنساب وإنما اهتم الشاعر بسلب المهجو الصفات الإيجابية والمثالية الخلقية فكان،الهجاء يأتي طعنًا وتحقيرًا ورميًا بالقدارة والدنس والبخل والظلم،وهذا يظهر في هجاء بشار بن برد إلى الخليفة المهدي ووزيره يعقوب بن داوود.

بني أمية هُبُوا أطال نومكم *** إن الخليفة يعقوب بن دوادِ

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا *** خليفة الله بين الزق والعود[1]

4– الفخر: لم يستطع بعض الشعراء أن يتخلصوا من الفخر القبلي كتعصب ابن نواس لمواليه بني سعد،وتعصب بشار بن برد للقيسيين،والجديد في شعر الفخر أن بعض الشعراء أخذوا يصدرون في فخرهم عن إحساسهم بالمروءة والأخلاق والقيم المثلى والحث على الجهاد وملاقاة الأعداء والفخر بالبطولات في المعارك والإثارة والحماسة والافتخار و لاعتزاز بالنفس مثل ما يقول المتنبي:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي *** وأسمعت كلماتي من به صمم

فالخيل والليل والبيداء تعرفني *** والسيف والرمح والقرطاس والقلم

5– الرثاء: كان الرثاء موجهًا في هذا العصر أغلبه لرثاء من يموت من كبار رجال الدولة كالخلفاء والوزراء،وركزوا على تمجيد البطولة والقوة في المرثي كرثاء أبي تمام "لمحمد بن حميد الطوسي". واتجه الشعراء في رثائهم إلى الأصدقاء والأبناء والزوجات كرثاء ابن الرومي لابنه:

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي*****فجودا فقد اودى نظيركما عندي

بنيّ الذي أهدته كفاي للثّرى*****فيا عزة المهدي،ويا حسرة المهدي

وأيضا نجد رثاء المدن التي سقطت على أيدي الروم مثل سقوط الأندلس وغرناطة والقسطنطينية حيث يقول ابن الرومي في رثاء البصرة:

أي نوم من بعد ما حلّ بالبص *** رة ما حلّ من هنات عظام

أي نوم من بعدما انتهك الزن *** ج جهارا محارم الإسلام[2]

1 – بشار بن برد بن يرجوخ االعقلي–الديوان – شرح وجمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور د ط، د ت، ص 193.

2 – ابن الرومي أبي الحسن والعباس بن جريح، الديوان، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب القومية، القاهرة، ج1 ط 3 1424هـ-2003م، ص 217.

6- الوصف: كان الوصف يأتي في ثنايا القصائد قديمًا. أما في هذا العصر أصبح فنا مستقلاً بفعل الطبيعة لغنية بالجمال،وإضافة إلى المظاهر الحضارية التي عني بوصفها الشعراء كالمطر والسحب والحدائق والقصور والبرك والطبيعة في فصل الربيع وها هو البحتري يصف لنا فصل الربيع:

أتاك الربيع الطّلق يختال ضاحكًا *** من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبّه النيروز في أغلس الدجى *** أوائل وردٍ كنَّ بالأمس نومًا[1]

وظهرت أغراض شعرية أخرى كان لها أثر في الشعر العربي القديم عامة والعصر العباسي خاصة منها:

7- الخمرة: لقد قامت ثورة أبو نواس على تقاليد الشعر القديم وذلك بقلب "المقدمة الطللية" إلى "المقدمة الخمرية".يقف عليها في مطلع القصيدة يصف الخمرة من حيث الذوق واللون والرائحة ووصف مجالس شربها وساقيها وساقيتها حيث يقول أبو نواس:

دع عنك لومي فإننا اللوم إغراء ***** وداويني بالتي كانت هي الداء

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها*****لو مسها حجر مسته سراء

فهي عند أبو نواس –الذي هو رائدها – تعبر عن حاجة روحية ونفسية وفكرية،وتجسد ما في نفسه من غنى روحي وفكري وسياسي وفلسفي،فالنظر إلى شعر خمريات أبو نواس يرى أنها وسيلة إلى إبداع عوالم شعرية وأداة لتفجير طاقته الإبداعية وتخليص الذات من قبضة الهموم ووسيلة التنبيه للناس،وهذا يتحكم إلى عالم الإنسانية.

8- الزهد: وهو الإبعاد عن ملذات الحياة والإشغال بالتعبد لله عزّ وجلّ واتباع السنة النبوية الشريفة.

إن سبب انتشاره في العصر العباسي بكثرة هو تيار المجون واللهو الذي انغمس فيه كثير من الناس واستمرار الحروب وكثرة القتلى وظلم الحكام والخلفاء والصراع الفكري والديني في نفوس بعض المؤمنين ،وكان رائده في هذا العصر أبو العتاهية:

فلا تعشق الدنيا أخي فإن ما *** يرى عاشق الدنيا بجهد بلاء

حلاوتها ممزوجة بمرارة *** وراحتها ممزوجة بعناء[2]

ومن أبرز خصائص الزهد نجد ظاهرة الاقتباس الديني وكثرة الأدلة والحجج والبراهين وتوظيف أسلوب الإقناع والترغيب والترهيب وبروز النزعة العقلية الذاتية والتأملية.

1- ديوان البحتري، ص 311.

2- اسماعيل أبي القاسم بن سويد بن كيسان أبو العتاهية- ديوان أبي العتاهية – دار بيروت للطباعة والنشر د ط، 1406 هـ-1986م، ص 12.

أما من حيث اللغة تمتاز بالبساطة في العبارات والإكثار من الصور البيانية والإسراف في استخدام المحسنات البديعة.

9- الحكمة: إن الحكمة هي خلاصة التجربة الإنسانية. فهي ليس بالضرورة أن تقرأ في الكتب أو تؤخذ عن المؤدبين وإنما قد يتعلمها الإنسان من مدرسة الحياة.

فكانت الحكم في العصور السابقة تأتي في ثنايا قصائد المديح أو الهجاء أو الرثاء أو غيرهما... أما في هذا العصر تميزت بإفراد قصائدًا ومقطوعات كاملة.

فشعر الحكمة تأثر كثيرًا بحركة الترجمة الواسعة في ذلك العهد فأخذوها من حكم اليونان والفرس والروم.

وكان شعر الحكمة عند شعراء العصر العباسي يأخذونه من تجربتهم في الحياة فأبو العتاهية كان دائم الذكر للموت والمتنبي كان يشتق حكمه من حياة التناحر والمطامع والمعارك الأدبية والسياسية التي كان يحياها،والمعري كان يستقي حكمته من ظواهر الكون التي كان دائم الإشغال بها.

يقول بشار بن برد:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن *** برأي فصيح أو مشورة عازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة *** فريش الخوافي قوة للقوادم.[1]

خصائص الشعر في العصر العباسي:

- ظهور أغراضٍ شعرية جديدة إلى جانب الأغراض القديمة العروفة [شعر التغزل بالغلمان. شعر الزندقة. شعر الزهد. المقدمة الخمرية].
- ظهور الفاظ ومعاني غير عربية وخاصة الفارسية.
- التخلص من المقدمة الطللية والغزلية وظهور المقدمة الخمرية مع أبو نواس.
- كثرة الصنعة اللفظية والاهتمام بالمحسنات البديعية (أبو تمام- البحتري).

1- ديوان بشار بن برد، ص 156.